المرأة والرجل وهل يتساويان ؟

رد على ردود

هم في ضميرك خيّموا ام قوضوا ومنى جفونك أقبلوا ام اعرضوا
وهمُ رضاك من الزمان واهله سخطوا كما زعمت وشانك أم رضوا

ما بال ربات الحجال وذوات اللطف والدلال يزنّ من خدورهنّ غضابى . واوسعتني لوماً وعتاباً . وفتحن عليّ حرباً أعدى من حرب البسوس . واظلم من يومي سعد وبؤس . وما اتيت ضدهنّ بمنكر . ولا ارتكبت في حقهنّ ذنباً لا يُغفر .

او ماذا رأين في مقالتي « المرأة والرجل وهل يتساويان » من قصد التحامل عليهنّ والاجحاف بحقوقهنّ حتى تفخّن في البوق وهجن بنات جنسهنّ في الافطار وتألبن عليّ جماعات متفقات لاول مرة وتربصن في مناوأتي تربص الآساد وعهدي بهنّ انفر من الظباء . وانا لم آتِ فيهنّ الا بما قرّره الواقع وشهد به الحال انتصاراً لهنّ من القوم الظالمين

أقصرت في مدحهنّ ام لم ابالغ في وصف محاسنهنّ ام لم اعترف بحقوقهنّ . الست القائل فيهنّ « وبرّوا لها اقلاماً أقوم من قدود الهيف اذا أُحجلت سمر القنا . وطعنوا بها طعنات اوقع من لحاظهنّ اذا رنت سهامها في القلوب » . أفلا يعجبن بهذا الاطراء او لست القائل ايضاً « ولا ابيخسها هو (اي الرجل) حقاً اعترف لها به مقامها في الهيئة الاجتماعية متفاضلين الاعمال كلٌ منهما في دائرته غير متطاول الى دائرة سواه وبذلك يتم نظام العائلة البشرية التي هي ام الاجتماع الانساني » أفلا يرضين بهذه المساواة

على اني اجلهن عن ان انزلهن منزلة من يقول « ان النساء لا يرضيهنّ شيء » ولعل في الامر دسيسة يد مبرقعة وما هي بذات برقع (سامحها الله) اقترت علينا ذلك فاقتضبت عباراتي وحولت اشاراتي وابدلت قولي وغيوت منقولي اعتداء عليّ وتملقاً لهنّ وصلت بيننا نار هذه الحرب وهن منها بشهد الله براء وانا لست منها في شيء بل تراني أقدم فيها رجلاً واؤخر اخرى . والاّ فهنّ ارفع من ان يعدُدن نقرير الواقع تحاملاً والانصاف اجحافاً .

قد وقع الصلح على غلبتي فاقتسموها كارهاً كاره
لا يدبر البقال الاّ اذا تصالح السنور والفاره

رحماكن سيداتي لو كان لي ان اصف المرأة كما اريد واشتهي لوصفتها كما قال احد شعراء الانكليز « ان الله خلق الرجل اولاً على سبيل التجربة ثم خلق المرأة اخيراً » لتكون من طينة ارقى ولكن من اين لي ذلك وانا لم اتجشم البحث في هذا الموضوع واجعل نفسي هدفاً لسهام الاغراض الا متفادياً للعلوم الطبيعية لا التصورات المجونية كمؤرخ يصف الوقائع ويشهد الاحوال ابتغاء رفع شأن المرأة في العمران بمعرفة مقامها الطبيعي فيه ولا ذنب لي الا ذنب الصادقين في الود المخلصين في القول والا فما المانع من ان تساوي المرأة الرجل ولماذا لم تغلب عليه بل تركته يسن الشرائع المحجفة بحقوقها ويقوى عليها من اوائل الامر

واني يمكن ان تكون بينهما هذه المساواة وهما مختلفان بالطبع من اصل الفطرة سيفي التركيب والقابليات والواجبات . فطلب المرأة مساواة الرجل كطلب الرجل مساواة المرأة امرٌ مستحيل واني لاعجب كيف يحاول بعض الناس اثبات هذه المساواة وما مثله الا كمثل من يحاول ان يساوي بين اعضاء الجسد المختلفة . أفلعله يجهل ان اختلاف التركيب يوجب اختلاف القوى والاعمال

فبقي علينا الآن وقد تقرر هذا الاختلاف كما تقرر بين اعضاء الجسد ان نعرف نسبته فيهما ولا نبحث في ذلك من حيث اهميتهما في الجسم الاجتماعي فانه لا خلاف في ان كلاً منهما عضوٌ مهم شديد اللزوم لكمال الهيئة الاجتماعية كما ان كل عضو من اعضاء الجسد شديد اللزوم لكماله . وقد تعارك ذلك في مقالاتي السابقة حيث قلت « بل نضعها (المرأة) في مقامها الحقيقي الذي يليق بها تابعة الرجل في ارتقائه مساعدة له متممة ما نقص من كماله محققة عنه مشاق الحياة الداخلية كما هو يذلل لها مصاعب الحياة الخارجية حاضنة اولادها تحت جناحي حنوها وتدبيرها عن طبع وتهذيب كما هو يسهر على راحتهم بعيني سعيه واقدامه عن سليقة ومعرفة » بل نبحث في نسبة هذا الاختلاف من حيث تفاوتهما في القوى جسدياً وعقلياً

كتبت مقالةً بعنوان « المرأة والرجل وهل يتساويان » ضمنتها خلاصة مباحث الطبيعيين وعلماء الاخلاق المتأخرين وصرفت فيها النظر عن اقوال المتقدمين ولم اورد من اقوالهم الا شيئاً يسيراً على سبيل الاستطراد لا الاستشهاد وقيدت نفسي كل التقييد بعلوم الاختبار واقتصرت على ذكر الوقائع المقررة واجتنبت على قدر الطاقة التعرض للاسباب الا فيما ندر . كل ذلك لكي احصر الموضوع في دائرة لا يجد فيها المتقولون محلاً لكثرة الظنون

حسماً للنزاع وحرصاً على الحقيقة ان نجتنبها فيجانب الاوهام وتحدثها عواصف الاغراض اذ هي كما قيل

خطرات النسيم تجرح خدّ ٭ ه ولمس الحرير يدمي بنانه

وقد رأينا مما قرّره علماء طبائع الحيوان كما قلنا في ما سلف ان الانثى اشد من الذكر في الحيوانات السافلة واضعف منه في الحيوانات العالية ومساوية له في ما كان بينهما واستنتجنا من ذلك ان امتياز الانثى على الذكر من صفات الحيوان السافل وان امتياز الذكر عليها من صفات الحيوان العالي . وانّا ذلك هناك مفصلاً بآيات بينات طبيعية وادبية وعقلية . وظننت ان هذا البيان كان لان يكون القول الفصل لما فيه من الصراحة والوضوح والاستناد الى الادلة التشريحية والفزيولوجية والبسيكولوجية التي يقال عندها قطعت جهيزة قول كل خطيب . وما قصدت الاّ ان اجعله قاعدة يختلف اليها عند البحث في هذا الموضوع وما اتيت فيه بحرف يشير الى وجوب تحقير المرأة واهمال تعليمها بل بالضد من ذلك قصدت ان ابين مقامها الحقيقي في الهيئة الاجتماعية وان ابنه الى أهمية هذا المقام لئلا يشغلها عنه شاغل يشمخ بها الى ما سواه فتقصر فيه ويصيبها كما في قوله

حسد القطا فاراد يمشي مشيها فاصابه ضربٌ من العقّال

ولئلا يذهل الرجل عنه فلا يوفيها حقوقها فيسوء مصيراً وكل ذلك حرصاً على انتظام العائلة البشرية وتحسن حال الانسان في العمران بمعرفة كل من الرجل والمرأة حدّه فيقف عنده . وكنت انتظر من السيدات ان يعدنني بذلك نصيراً لهنّ وخير نصير

وصاحباً كالزلال يمحو صفاؤه الشك باليقين

وان اريَ منهنّ تصوباً ينشطني في الدفاع عنهنّ اذ ادخل الموضوع من ابوابه لان المدافع عنهن في غير اساليب الصواب يكون لهنّ شر نصير . ولكن لا اعلم كيف اقابل حضرات السيدات اللائي تصدين للرد عليّ زاعمات انهن وجدن في مقالتي مطاعن فقوقن نحوي سهام اللوم والتعنيف ولولا الخوف من ان يستحكم هذا الظن في اذهان جمهورهنّ بمطالعتهن مقالات نصيراتهنّ وينتاسين حقيقة مقالتي لتقادم عهدها فينصرفن الى الوهم باني متحامل فيها عليهن لاقتصرت على مقابلتهن بالشكر لقاء اطنابهن في مدحي واستغنيت عن هذا الايضاح الذي لا ارى والحالة هذه بداً منه ولا كنفيت مؤونة الرد على اعتراضاتهن لقيام بعضها على الوهم وسقوط البعض الآخر من نفسه بمراجعة نفس مقالتي .

(١) انكرت عليّ حضرة السيدة الفاضلة م . ا . ي . قولي ان الفرق بين المرأة

والرجل في القوى انما هو من اصل الفطرة وذهبت خلافاً لي الى انه من فرق التعليم والرياضة والعادات وزعمت انها تؤيد قولها من كلامي المتناقض حيث قالت برشيق عباراتها « اجترىء ان اقول ان بعض اقواله متناقضة ... اوليس هو القائل مع العلامة بروكا : ان زيادة اتساع الجمجمة في النساء قديماً عما هو عليه حديثاً كانت (لان) المرأة كانت في ذلك العهد تقاسم الرجل الاعمال اكثر منها في هذا العهد » واستطردت من ذلك الى القول « فما المانع من انه لو دامت لها هذه المقاسمة الى هذا الزمان لبقيت مثله او اسمى منه » اقول نعم النتيجة لو صحت المقدمة ونعم الحجة علي لو صح النقل عني فعفواً ايتها السيدة لم اقل ذلك وهذا قولي « الغريب ان نساء الاجيال التي عاشت قبل التاريخ كانت نسبة سعة جمجمتهن أعظم منها في نساء اليوم قال بروكا وهذا يظاهر منه (أن) المرأة كانت في ذلك العهد تقاسم الرجل الاعمال اكثر منها في هذا العهد » لا « لانها » وهو على حد قولي ايضاً بعد ما تكلمت عن تقارب الرجل والمرأة تشريحياً في اوائل الحياة وتباينهما في اواسطها ثم تقاربهما بعد ذلك « وهذا الفرق التشريحي يرافقه فرق في القوى العاقلة والادبية ومنه يفهم لماذا يشترك الذكر والانثى في سن الحداثة ثم يفترقان كثيراً في سن البلوغ ثم يتقاربان في سن الهرم » فعلى مقتضى قول حضرتها يجب ان يفهم من هذا القول ايضاً ان اقتراب الرجل والمرأة وافتراقهما تشريحياً هو لاشتراكهما وافتراقهما بالالعاب والمفهوم بالعكس ولا يخفى ما بين القولين من الفرق في المعنى وان لم يكن بينهما الا زيادة حرف واحد في اللفظ فمفهوم كلامي نتيجة ومفهوم كلامها سبب وهذا الخطأ منها في النقل هو سبب هذا الوهم في نسبة التناقض لكلامي ولضيق المقام اكتفي بالتنبيه اليه لازالة هذا الوهم ولا اشك في انه من حضرتها خطأ سهو

ولا انكر بان التعليم والرياضة والعادات الخ تؤثر جداً في حال المرأة ويجب ان تستخدم لخيرها ولكن لا اسلم مطلقاً بانها اذا تساوت فيها مع الرجل ساوته في القوى لاسباب أعدها جوهرية في تكوينها وقابليتها وواجباتها هذا اذا كنا نسلم ان القوى والافعال مرتبطة بتكوين الاعضاء . الا ترى ان الاشغال التي تعلمها النساء كالرجال واكثر منهم كفن الخياطة والطبخ والرسم والموسيقى لا تستطيع المرأة ان تساوي الرجل فيها كما فلت في المقالة السابقة . على ان نفس مساواتها له بالتعليم والرياضة والعادات لو تاملناها جيداً لوجدناها الا في ما ندر ممتنعة من اصل التكوين فطلب المرأة والحالة هذه مساواة الرجل فرض مستحيل لا يجوز لها ان تضيع وقتها فيه وهذا لا يحط من قدرها لان عليها واجبات اخرى

مهمة جداً اذا احسنت القيام بها لم تعدم حقوقها في الهيئة الاجتماعية

(٣) اعترضت عليّ حضرة الفاضلة السيدة ر . ح . اعتراضات شتى لا يسعني ضيق المقام الا ان آتي الجواب عليها اقتضاباً لكثرة خصماي ووجوب الرد على كأنهنّ صبة واحدة لئلا يعبن عليّ اذ ان السيدات يصفحن عن كل ذنب الاّ ما تشم منه رائحة التفضيل بينهنّ

قالت : اني بحثت في المرأة والرجل بحث الطبيعيين لا بحث اهل النظر وعابت عليّ ايرادي بعض امور عن المرأة اقرب الى البحث النظري منها الى البحث الطبيعي مثل قولي « ان الرجل يأكل اكثر من المرأة ولكنها انهم منه وان الذي يمنعهامن ارتكاب الجرائم انما هو خجلها وحياؤها وحالها من الرضوخ وعوائدها التي تحجبها وضعف جسدها وانها احيل من الرجل وأخدع لانها اضعف منه والحيلة والخداع سلاح الضعيف » ولا انكر بان من هذه الامور ما هو اقرب الى علوم النظر الا اني اقول ايضاً اني لم التزم البحث في الوجه الطبيعي الاّ لكي اجعل الوجه النظري مجالاً اوسع وقيمة اعظم بتمهيد السبيل له حتى يقل خطؤه ويكثر صوابه اذ لا يخفى ان العلوم النظرية ليست الاّ الاستقراء والاستنتاج المبنيين على امور مسلمة هي عندهم كالحقائق فكلما كانت هذه الامور المسلمة اقرب الى الصواب كان الاستقراء والاستنتاج المبنيان عليها اصح كذلك . وأي شيء اصح من العلوم الطبيعية التي هي في حكمها كالعلوم الرياضية ولذلك كان كثير من احكام النظر المبني على هذه العلوم حكمه كحكم اليقين . على ان من الامور النظرية المتقدم ذكرها ما هو مبني على المراقبة والاختبار فقول حضرتها « فباي مقياس قاسوا تهامة الرجل والمرأة حتى عرفوا انها انهم منه » مردود عليه بالقول انهم قاسوها بمقياس المراقبة وان لم يرضها ذلك فبمقياس « الاكل » ولا اعلم ما الذي سادعها من هذا القول وهو ليس قولي بل قول جمهور العلماء المتبحرين في درس طبائع الحيوان ومراقبة افعاله . وان لم يقنعها ذلك فنحن تأتيها بتعليل فلسفي ينطبق على هذا القول لعلها تقنع فلا يخفى ان بين عوائد الرجل وعوائد المرأة بوناً بعيداً فارجل كثير الحركة كثير السعي . والاشغال التي تطلبها احتياجاته شاقة وتتطلب منه جهداً جبيداً وسعياً عظياً خارج مسكنه فلا يتأتى له ان يتناول الطعام الا في اوقات متباعدة ولذلك كان لا يجلس على الطعام الا وقعات قليلة ويأكل كثيراً . بخلاف المرأة فان سعيها قاصر على تدبير منزلها وحركتها بالنظر الى ذلك قليلة والاشغال المطلوبة منها وان كانت مهمة الاّ انها غير شاقة بالنسبة الى اشغال الرجل

وهمومه وهي دائماً في البيت وهو دائماً بعيدٌ عنه ولذلك كانت تأكل أقل من الرجل وتجلس على الطعام وقمات أكثر منه ولهذا كانت أنهم منه

ولما كون الذي يتميها من ارتكاب الجرائم « انما هو خجلها وحياءها وخلقها من الرضوخ وعواندها التي تحجبها وضعف جسدها » فهو قول بعضهم وكنت اود ان اسلم مع حضرتها بان الذي يتميها من ذلك انما هو « لانها اميل الى السلام وحب الاتفاق وكره المآثم والشرور » الى آخر ما قالت لاني اريد ان تكون لها هذه الصفات لولا ان هذا التعليل نفسه قاصرٌ ويحتاج الى تعليل آخر يعرف منه لماذا هي كذلك فلا شك انها كذلك لانها اضعف واذل من الرجل وهذا يولد فيها الخوف ولانها محجبة وان لم تبقَ مقنعة وهذا يولد فيها الخجل والحياء وما ادلها من صانعين لا ارضى للسيدات ان يخجلن منهما

ولكن نفس هذا التعليل يعلل لماذا المرأة احيل والخدع من الرجل لكن لما كانت حضرتها لا ترى وجه اقناع في قولي « لانها اضعف منه والحيلة والخداع سلاح الضعيف » كان لا بد لي من بسط الكلام عليه على وجه اعم تأييداً لهذه الحقيقة النظرية التي هي في ثبوتها كالحقائق الطبيعية المقررة ولا تنظر اليها في انواع الحيوان حيث ترى آلافاً من الامثلة التي تدلنا على ان الحيلة هي كل قوة الحيوان الضعيف لردع عدوان الحيوان القوي عنه او لأخذ في شركه ولولا ذلك لما امكن بقاء حيّ مع خصمه القوي بل انظر اليها في احوال الامم في العمران فلا يخفى ان الشرائع الحاكمة على الامم كانت في بدء الامر استبدادية ظالمة ولم تزل تجر متساوية في كل الاقطار ومعلوم ان الاستبداد يورث الخوف في قلوب الرعية فلا تجد ما يحميها من غضب حاكمها المستبد سوى التملق له والرياء به . والرياء يورث الخداع والكذب وما شاكل ويستحكم فيها ذلك بطول ليثها محكومة بالاستبداد وينتقل في نسلها بالوراثة خلقاً عن سلف حتى يصير فيها اخيراً طبيعةً لا تزول منها بالتعليم والخربة حتى يمر عليها منهما بقدر ما مرّ عليها من عصور الجهل والاستبداد ولذلك كنت ترى القوم الذين عاشوا تحت ظل الاستبداد واستحكم فيهم الرياء قوماً لا يصدقون وقلما تجد بينهم صديقاً مخلصاً ولو خرجوا الى نور العلم والحرية ولست تجد بينهم ذلك حتى يمر عليهم فيه بقدر ما كان عليهم محجوبين عنه . وما قيل هنا يقال ايضاً عن الرجل والمرأة وكلامنا عام لا يجوز النظر فيه الى شعب من الشعوب او أمة من الامم بل الى عموم البشر في العمران فان الرجل لجهله استبد في اول الامر وخافته المرأة فاستسلمت له واقبلت عليه متملقة كي تنجو من جوره ولا يكفينا ان ننظر الى نساء الشعوب المتمدنة بل فلننظر الى

نساء الشعوب التي لم تزل غارقة في الجهل فلا تكاد تجد امرأة تخاطب زوجها الا كعبد ذليل امام سيده المستبد فكيف يمكن لهذه المرأة ان تكون غير محتالة ومخادعة . وكون المرأة احيل واخدع من الرجل لا يحط من شأنها بقدر ما يحط من شأن الذي هو سبب ذلك فيها . على اني لا انكر ان هذه الصفات المذمومة في الجاهلة تنقلب — وهنا اوافق حضرتها — الى مزايا ممدوحة في المرأة المتهذبة بحيث تصير فيها فضيلة وانضاعاً وطاعة وصبراً وطهراً وعفافاً ومحبة وشفقة وحنواً الى آخر ما وصفتها به من جليل المزايا وحميد السجايا

للرد بقية

جان دارك الفرس

السيدة آنابتروفنا روسية الاصل كانت زوجة رجل يهودي هاجرت بلادها الى القوقاس وانتظمت في جمعية الاشتراكيين العمومية واشربت مبادئهم واتخذت بينهم مقاماً سامياً حتى كانت رسول الحرية . وقد انتدبتها تلك الجمعية لتحتج على حكومة العجم الماضية في عهد شاهها المخلوع ايام الفتن الاخيرة فيها ولما وصلت الى الربوع الفارسية استقدمها اليه قنصل جنرال روسيا في طهران وهددها باعتقالها اذا هي اصرَّت على الاحتجاج باسم الثورويين

اما هذه السيدة فلم يثنها تهديد القنصل لها فمضت الى احدى صديقاتها في عاصمة الفرس وصديقتها المذكورة هي قرينة الكنتخدا في طهران . فانفذت مرامها وتزوجت الكنتخدا وصارت له الزوجة الثالثة

وتسنى لها بعد ذلك متابعة عملها فكانت تحمل الى زعماء الثورة العجمية قنابل الديناميت مخبوءة بين اكاليل الازهار وظلت قائمة بامانة ونشاط على اتمام وظيفتها حتى تم الفوز لانصار الحرية في العجم وخلعوا الشاه السابق ونصبوا ابنه عوضاً عنه . وقد دُعيت آنابتروفنا جان دارك الفرس منذ ذلك اليوم